التشكيل اللغويُّ لبِنْيَةِ الخبر في كتابَي "أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفَّلين" لابن الجوزيِّ

دراسة لغويَّة أسلوبيَّة

د/هناء كامل على ابراهيم
أستاذ مساعد كلية الألسن، جامعة عين شمس

مستخلص:

يُعدُّ الخبر – باعتباره موروثًا أدبيًا معرفيًا– خير ممثِّل للعصر المسجَّل فيه، وللعصور السّابقة عليه، ولا يقتصر على كونه مجرَّد أداة للإخبار، فهو يتعدّى ذلك إلى مقاصد كثيرة أخرى من بينها: الوعظ أو التوجيه أو التأثير في المتلقي عن طريق الفكاهة أو غير ذلك من المقاصد الكثيرة التي ذخرت بها الأخبار التي نُقلت عن العرب.

ويحمل الخبر عند ابن الجوزيّ بعض هذه المقاصد التي نراها منثورة في كتب الخبر عنده؛ مثل كتابي: (أخبار الأذكياء)، و(أخبار الحمقى والمغفَّلين). ويرصد هذا البحث بعض أدوات التشكيل اللغويِّ لبنية الخبر التي ظهرت في أخبار هذين الكتابيْن مُحقِّقة المقاصد المختلفة السابق ذكرها، في ضوء النظريَّة الأسلوبيَّة؛ لأنّها تنظر إلى النصِّ باعتباره اختيار المرسِل لأدوات لغويَّة بعينها من بين اختيارات كثيرة متاحة له، وتندرج هذه الأدوات تحت المستويات التالية: المستوى الصوتيّ، والمستوى التركيبيّ، والمستوى المعجميّ، وقد توصّلت الدراسة نتائج منها: أن توظيف المستوى الصوتي تمثل في عنده في تبادل الصوامت وتبادل الصوائت، وأن المستوى التركيبي ظهر في بعض البِنَى منها: بنية الاستفهام، وبنية الحذف، وبنية المفارقة، وبنية الازدواج، ودمج الكلمات، أما المستوى المعجمي فقد توصّل البحث إلى أن لغة ابن الجوزي سهلة وبسيطة إلا من بعض الألفاظ الغريبة على القارئ المعاصر.

الكلمات المفتاحيَّة: التشكيل اللغويّ، الخبر، ابن الجوزيّ، الأسلوبيَّة، أخبار الأذكياء، أخبار الحمقى والمغفلين.

Abstract:

linguistic formation of the structure of the Tales in "The Tales of the Intelligent" and "The Fools and Idiots Tales" by Ibn al-Jawzi

stylistic linguistic study

The Tales - as a literary and cognitive heritage - is the best representative of the era in which it is recorded, and of the eras that preceded it, and it is not limited to being just a tool for Tales, as it goes beyond that to many other purposes, including: preaching, guiding, or influencing the recipient through humor or other things. The many purposes for which the Tales that was reported from the Arabs was replete.

Ibn al-Jawzi's Tales has some of these purposes, which we see scattered in his books of Tales; Like: (The Tales of the Intelligent) and (The Fools and Idiots Tales); This research study some of the linguistic formation tools for the structure of the Tales that appeared in the Tales of these two books, achieving the various objectives mentioned above, in the light of the stylistic theory; Because it considers the text as the sender's choice of specific linguistic tools from among the many choices available to him, and these tools appears in the following levels: the phonetic level, the syntactic level, and the lexical level. The study reached results, including: that the use of the phonemic level represented in him the exchange of consonants and the exchange of vowels, and that the syntactic level appeared in some structures, including: the interrogative structure, the ellipses structure, the paradox structure, the duplication structure, and the merging of words. As for the lexical level, the research reached to The language of Ibn al-Jawzi is easy and simple, except for some words that are strange to the contemporary reader.

Keywords: linguistic formation, Tales, Ibn al-Jawzi, stylistics, phonetic level, syntactic level, lexical level.

* * *

مقدِّمة البحث:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات اللغويَّة التي تعالج فنًا من فنون الأدب القديم، وهو "الخبر"، حيث يقوم هذا البحث بدراسة التشكيل اللغويّ لبنية الخبر عند ابن الجوزيّ في كتابَيْه:"أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين".

– **المنهج:** يقوم البحث بدراسة التشكيل اللغويّ لبنية هذه الأخبار وفقًا لمعطيات النظريَّة الأسلوبيَّة؛ فهي تنظر إلى النصِّ باعتباره اختيار المرسِل لأدوات لغويَّة بعينها من بين اختيارات كثيرة متاحة له.

– **مادة الدراسة:** الأخبار الواردة في كتابي "أخبار الأذكياء" الذي ضمّ ثلاثة وثلاثين بابًا، و"أخبار الحمقى والمغفلين"، الذي يتكوَّن من أربعة وعشرين بابًا، وهما من أشهر كتب ابن الجوزي التي جمع فيهما طائفة من الأخبار المتنوِّعة المختلفة المُرتَّبة حسب فئات الناس ابتداءً من الأنبياء وانتهاءً بأخبار العامة، وأيضًا تلك الأخبار التي رُويت على ألسنة الحيوانات.

– **مشكلة الدراسة:** تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة تحديد آليات التشكيل اللغويّ لبنية الخبر عند ابن الجوزيّ في كتابيه "أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين".

– **التساؤلات:** تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

* ما هو "فن الخبر"، وما أهمّيته بين الفنون الأدبيَّة الأخرى؟.

* مِمَّا تتكوَّن بنية الخبر؟.

* ما هي الآليات اللغويَّة التي تشكّل بنية الخبر في كتابَي "أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين"؟.

* ما دور هذه الآليات في تحقيق مقاصد المؤلِّف في الكتابيْن؟.

– **الدراسات السابقة:** إن الدراسات السابقة التي تناولت المؤلَّفيْن كثيرة؛ ويصعب حصرها في بحث قصير؛ وقد تنوّعت اتجاهات هذه الدراسات ما بين دينيّة وتربويّة وأدبيّة ولغويّة وغير ذلك؛ لكن الدراسات اللغويّة كانت أقلّها (بحسب ما توصّلت إليه الباحثة)، ومن بين هذه الدراسات ما يلي:

* الخبر في آثار (ابن الجوزي) (ت ٥٩٧ ه)، دراسة سردية: رسالة دكتوراه للباحث تيشكو عثمان عارف، جامعة السليمانية، العراق (٢٠١٥): وهي دراسة أدبية سردية اعتمدت على منهجية الدرس البنيوي الشكلاني في دراسة الخبر في كتب ابن الجوزيّ، تناول الباحث فيها مكونات السرد وأساليبه ووسائله (كالوصف والحوار) وعناصره

(كالحدث والشخصيات والزمان والمكان)، وقد توصّل الباحث في رسالته إلى نتائج من بينها: أن ابن الجوزيّ قد استعمل تقنيات سردية ذات كفاءة إجرائية عالية فيها انفتاح على نظريات السرد الحديثة، وأنه قد صاغ أخباره بأسلوب سهل ممتنع أدبي خاصّ به، كما أنه كان يقوم بتصحيح بعض الأخطاء اللغويَّة في كتب الخبر عنده، كما تباينت أساليب السرد عنده بين السرد الموضوعي والسرد الذاتي.

* البعد البلاغي والحجاجي للسخرية من منظور التداولية "أخبار الحمقى والمغفلين أنموذجًا": وهي دراسة لمحمد طراد، جامعة حسيبة بن بوعلي بالجزائر (٢٠١٦)؛ تناول فيها تجلي آليات الحجاج في الخطاب الساخر عند ابن الجوزي في كتابه "أخبار الحمقى والمغفَّلين"؛ مثل الحجاج بالمغالطة والسلالم الحجاجيّة وغيرها، ودراسة البعد التداولي لهذه الآليات في أخبار الكتاب.

– **المحتوى:** يتكوّن هذا البحث من: **مقدّمة** تعرض موضوع البحث باختصار، ثمّ **فصليْن؛ الفضل الأول: تمهيد نظري** يستعرض ثلاث نقاط وهي: تعريف فنّ الخبر، ونبذة عن الخبر عند ابن الجوزي في الكتابيْن، ونبذة مختصرة عن النظرية الأسلوبيّة، **والفصل الثاني:** الدراسة التطبيقيَّة التي تتحقَّق عن طريق دراسة نماذج مختلفة من الكتابيْن وفقًا لبنية الخبر التي اتفق عليها العلماء التي تتكوّن من سندٍ ومتنٍ وخاتمة، فتعالج أولًا صور السند عنده، ثمّ ترصد نماذج من الكتابيْن وفقًا للمستويات اللغويَّة التالية:

– المستوى الصوتيّ: ويتحقّق من دراسة ظاهرتي: إبدال الصوامت، وإبدال الصوائت عند ابن الجوزي في الكتابيْن.

– المستوى التركيبيّ: ويتمثل في خمس ظواهر وهي: أنماط البنية التركيبية للاستفهام، وحذف الجمل، وبنية المفارقة، ودمج الجمل، والازدواج.

– المستوى المعجميّ: ويتمثل في معالجة استخدام ابن الجوزي لبعض الألفاظ الغريبة على القارئ المعاصر.

يتناول البحث بعد ذلك الصور المختلفة التي جاءت عليها خاتمة الخبر عنده في الكتابيْن، ويُختَم بخاتمة تُجمل أهم النتائج التي توصَّل البحث إليها.

* * *

الفصل الأوَّل: تمهيد نظري

يعرض هذا التمهيد نبذة مختصَرة عن ثلاث نقاط؛ وهي: **التعريف بـ"فن الخبر"**، **والخبر عند ابن الجوزيّ** في كتابيه "أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين"، مع التعريف بالمؤلف، **والنظرية الأسلوبيَّة**، على النحو التالي:

◈ **أولًا: فنّ الخبر:**

نشأ الخبر في بدايته نشأة دينية؛ حيث ارتباطه بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلَّم، وقد كان الدافع من ظهوره هو الخوف عليها من التحريف، وقد تركت هذه النشأة أثرها في بناء الخبر؛ من حيث قيامه على جانبي السند والمتن[١]، وبعد ذلك كان الحديث عن فنّ الخبر يتمُّ في إطار الثراء الذي كان يميّز التراث النثريّ عند العرب، دون الفصل بدقَّة بينه وبين الأنواع الأدبيَّة الأخرى، لذا فقد تعدَّدت التعريفات التي تناولته، ومن بينها:

– يعرّفه د. سعيد علّوش في معجم المصطلحات الأدبيّة بأنه: وحدة تامة وفردية للتواصل، عبر العلامة، وينتجه مُرسِل، يتوجّه به إلى المتلقي[٢].

– ويرد تعريفه في معجم مصطلح الحديث النبوي بأنه:"يستعمل مرادفا للحديث في كلا معنييه: وأولهما ما أضيف إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو وصف. والآخر ما أضيف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم ونحوها"[٣].

– يعرِّفه د. شكري عيَّاد بقوله:"الخبر في أصله تاريخ، فهو نوع من التفصيل لحادث ذي قيمة في حياة الجماعة، وبناء على ذلك، فإن راويه يتحرى صدق الرواية، ويسوق خبره للعلم لا للتأثير"[٤].

---

(١) **د. عبد الله إبراهيم:** السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص٤٠.

(٢) **د. سعيد علّوش:** معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص ٨٠.

(٣) معجم مصطلح الحديث النبويّ: مجمع اللغة العربي، د.ط، ٢٠٠٢، ص٣٣.

(٤) **د. شكري عيّاد:** القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص٢٣.

– والأخبار هي أحداث الماضين وأفعالهم، وما طرأ على حياتهم وأوضاعهم حسبما يتناقله الرواة، ويتحدّث به اللاحقون عن السابقين ممَنْ شاهدوا ذلك الخبر أو سمعوه، وبهذا يكون الخبر المصدر الرئيس للمعرفة، والمادة الأساس في الرواية العربيَّة[١].

– وهو وحدة سرديَّة، يقوم على مادّة خام هي البنيـــة الســـرديَّة التـــي قوامهـــا أحـــداث وشخصيات، وتظهر لنا هذه المادّة في خطاب سرديّ له آليات مخصوصة يتجلَّـــى فيهـــا ويتوسَّل بها لإقحام تلك

المادة في الأدب حتى تستوي نصًا إبداعيًا[٢].

– والخبر هو أصغر وحدة حكائية تؤدِّي وظيفة الإبلاغ[٣].

– وهو كلُّ حدث يتميَّز ببساطة فعله ووحدته، فلا يتفرّع إلى تعـــدّد الأفعـــال والأحـــداث وتنويع الشخصيات[٤].

يمكن القول إذًا: إنّه على الرغم من الاختلافات التي دارت حول تعريف الخبر، فإنه يمكننا أن نخلص منها إلى تحديد السمات المشتركة المميّزة له؛ وهي أنَّ الخبـــر أصـــغر وحدة حكائيَّة يتوفّر فيها مُرسِل ومتلقٍ، يتميّز ببساطة الأسلوب، وذكر السَّـــند، والتركيـــز على الحدث مع عدم الإغراق في الشخصية والزمان والمكان.

أما بالنسبة لمكان الخبر بين الفنون الأدبيَّة الأخرى، فنرى الجاحظ (ت ٢٥٥ هـــ) يذكره في كتابه (الحيوان) مع فنون أخرى بقوله:"متى خرج من آي القرآن صـــار إلـــى الأثر، ومتى خرج من الأثر صار إلى خبر، ومتى خرج من خبر صار إلى الشعر، ومن

---

(١) **إبراهيم صحراوي:** السرد العربي القديم: الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص٥٢.

(٢) **د. محمد القاضي**: الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص١٣.

(٣) **د.عبد الله إبراهيم:** موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دبي، ٢٠٠٨، الجزء الأول، ص ٤٨.

(٤) **سعيد جبار:** الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، شركة التوزيع والنشر المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٩٩.

الشعر إلى النوادر ومن النوادر إلى حكم عقلية"[١]، ويساوي البعض بينه وفن القصّة؛ يقول محمد تيمور: "وبهذه القصص التي تسمى الأخبار نستطيع القول بأن فن القصة في الأدب العربي واضح في كل عصر"[٢]. ويقول د. علي عبد الحليم محمود أيضًا:"والقصة هي الفن الذي نعرفه اليوم بهذا الاسم بين الأجناس الأدبية، قد أطلقها العرب على عدة أشياء، وأطلقوا هذه الأشياء عليها هي: الحديث والخبر والسمر والخرافة"[٣]. وفي حديث د. سعيد يقطين عن خصائصه التكوينيَّة التي تقترب من فنون أخرى كالحكاية والقصّة والسِّيرة يقول:"فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائية، فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة، والقصّة تراكم لمجموعة من الحكايات، والسيرة تراكم لمجموعة من القصص، وبناء على هذا الأساس نجد هذه الأنواع متكاملة تتحقق بشكل مستمر"[٤].

ويجمع المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ) فضائل الأخبار في قوله: كلّ علم من الأخبار يُستخرَج، وكلّ حكمة منها تُستنبَط، والفقه منها يُستشار، والفصاحة منها تُستفاد... وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق منها تُقتبَس... وكلّ عجيبة منها تُستَطرَف... وبعد فإنه يوصل به الكلام، ويتزيّن به في كل مقام، ويُحتاج إليه في كلِّ محفل[٥].

---

(١) **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):** كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩، الجزء الأول، ص٦٣.

(٢) **محمد تيمور:** محاضرات في القصص في أدب العرب، ماضيه وحاضره، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، ١٩٥٨، ص٢٩.

(٣) **د. علي عبد الحليم محمود:** القصة العربية في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، د ت، ص١٧.

(٤) **د. سعيد يقطين:** الكلام والخبر، مقدّمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص١٩٥.

(٥) **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء الأول، ص٦٧. وتجدر الإشارة إلى أن كثير من مؤلفي كتب الأخبار قد أشاروا إلى بعض هذه الفضائل؛ من بينهم على سبيل المثال: تشديد الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) على الجانب التعليمي الأخلاقي للخبر في قوله: تجمُل بالمتأدّبين معرفتها، وتحتاج الأحداث إلى دراستها، ويرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها. انظر **الأصفهاني (أبو الفرج الأصبهاني عليّ بن الحسين):** كتاب الأغاني، دار الكتب المصريّة، د.ط، ١٩٥٢، الجزء الأول، ص٢.

◈ **ثانيًا: الخبر عند ابن الجوزيِّ:**

ابن الجوزيّ: هو جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد التميميّ البغداديّ الحنبليّ المشهور بابن الجوزيِّ، ينتهي نسبه بأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وقد نشأ في أسرة ميسورة الحال، وتُوفِّي والده وعمره ثلاث سنوات وشرع في طلب العلم وهو صغير، وهذا ما جعله فريدًا في عصره وبين أقرانه[1].

وقد ظهر فنّ الخبر في كتب الأدب عمومًا في نمطين؛ **النمط الأول:** وهو وجوده بوصفه وحدات متناثرة في كتب الأدب العربي؛ مثل عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦ه) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ه)، **والنمط الثاني:** وجوده في كتب مخصّصة له؛ مثل البخلاء للجاحظ (ت ٢٥٥ه)، والفرج بعد الشدة لابن أبي الدُّنيا (ت ٢٨٢ه) وغيرهم، ويندرج كلٌّ من كتابي ابن الجوزيّ ("أخبار الأذكياء" و"أخبار الحمقى والمغفلين") تحت النمط الثاني؛ حيث أفردهما لهذا الفن، وهما على النحو التالي:

---

(1) وُلد ابن الجوزي عام ٥١٠ ه، و(**الجوزي**) نسبة إلى فرضة، من فرض البصرة، يقال لها: جوزة.. كان علّامة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنَّف في فنون عديدة، وكتب بخطّه شيئًا كثيرًا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جُمعت الكراريس على المدة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس. برز في كثير من العلوم، وجمع المصنّفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمئة مصنف، وكتب بيده نحوًا من ألفي مجلد، من تفسير وحديث وتاريخ وحساب والنظر في النجوم والطب والفقه والنحو وغير ذلك، وله أشعار كثيرة ومقامات =وخُطب، وله في مجالس الوعظ أجوبة نادرة (جمع **عبد الحميد العلوجي** مصادر مؤلفاته وذكر الروايات المختلفة في عددها، مرتَّبةً في كتابه: مؤلفات ابن الجوزي، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢). وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء، ومن سائر صنوف بني آدم، قال عنه الذهبي (٧٤٨ه):"ما علمتُ أحدًا من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل"(تذكرة الحفاظ: **الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز)**، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، الجزء الرابع، ص ١٣١-١٣٧)، وقد تُوفِّي سنة ٥٩٧ ه ببغداد، ودُفن بباب حرب. انظر وفيات الأعيان: **ابن خلّكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)**، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، الجزء الثاني، ص ٣٢١- ٣٢٢، وراجعْ ترجمته في كتاب: البداية والنهاية **لابن كثير** (ت ٧٧٤ه) لـ(**الحافظ أبي الفداء إسماعيل**)، دار الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، ٢٠١٥، الجزء الأول، ص٤٤٦-٤٧٠.

- **أخبار الأذكيـــاء:** وقد ذكر ابن الجوزيّ في مقدّمة كتابه "أخبار الأذكياء" الأهداف التـــي دعته لتأليف هذا الكتاب، وهي[1]:

١- معرفة أحوال الأذكياء.

٢- تلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعدادٍ لنيْل تلك المرتبة؛ حيث إن رؤيته العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب، وسماع أخباره تقوم مقام الرؤية.

٣- تأديب المُعجِب برأيه إذا سمع أخبار مَنْ يعسر عليه لحاقه.

نفهم من ذلك أن ابن الجوزي قد وضع هذا الكتاب بهدف التهذيب والوعظ عن طريق التعريف بأنماط السلوك التي يتّسم بها الأذكياء برواية أخبارهم في كتابه الذي ضمّ ثلاثة وثلاثين بابًا كُرِّست للحديث عن السلوك الذكي بجميع صوره من أقوال وأفعال، وعلى جميع الفئات ابتداءً من الأنبياء ومرورًا بالصَّحابة والخلفاء وغير ذلك من فئات المجتمع مثل النساء والأطفال والشعراء واللصوص، وختم كتابه بأخبار الأذكياء من الحيوانات.

- **أخبار الحمقى والمغفلين:** يذكر ابن الجوزي أنه قصد من تأليف هذا الكتاب تحقيق ما يلي[2]:

١- شكر الله على نعمة العقل.

٢- أن ذكر المغفّلين يحثّ المتيقّظ على اتّقاء أسباب الغفلة.

٣- الترويح عن القلوب باللهو المُباح الهادف.

أي أنّ هدفه من هذا الكتاب مثل هدفه في كتاب "أخبار الأذكياء": التهذيب والوعظ؛ لكنّه يفعل ذلك عن طريق الفكاهة والتهكّم. وقد وضع كتابه هذا في أربعة وعشرين بابًا؛ قسّم الأخبار حسب فئات المجتمع؛ من فقهاء ومفسّرين، ورواة ومتحدّثين، وشعراء

---

(1) **ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ):** أخبار الأذكياء، راجعه: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٢٩.

(2) **ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ):** أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنَّا، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١٣-١٤.

ومتأدّبين، وكتّاب ومعلّمين وغيرهم، تكلّم فيها عن السلوك الأحمق والمغفّل بجميع صوره، سواء كان غريزة أو صدر عن العقلاء.

◈ ثالثًا: التشكيل اللغوي والأسلوبيَّة:

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الأسلوبيَّة Stylistics؛ فبعضهم يعدّها فرعًا من اللسانيَّات، وآخرون يرونها فرعًا من البلاغة، وآخرون يرجعونها إلى النقد الأدبيّ، وغير ذلك من العلوم المختلفة.

والأسلوبيَّة نشأت في الأساس من اللسانيَّات، وإن كانت الدراسات اللغوية تركِّز على اللغة، فإن الأسلوب يركّز على كيفيّة أدائها وطريقة استخدامها. وقد ارتبطت الأسلوبيَّة بالدراسات اللغويَّة التي قامت على يد دي سوسير De Saussure في تفريقه بين اللغة والكلام؛ لكنّها تُنسَب إلى شارل بالي Chalres Bally تلميذ دي سوسير – مؤسّس علم الأسلوب الفرنسي (والمدرسة الفرنسية هي التي وضعت القواعد النظرية الأولى لهذا العلم) – الذي نشر عام ١٩٠٢ كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي". ومفهوم الأسلوب عنده يتجلّى في مجموعة من الوحدات اللسانيَّة التي تمارس تأثيرًا معينًا في مستمعها أو قارئها، ومن هنا يتمحور هدف الأسلوبيَّة حول اكتشاف القيم اللسانيَّة المؤثرة ذات الطابع العاطفي، فالأسلوبيَّة عنده هي: العلم الذي يدرس الجوانب التعبيريّة التي تكشف عن حركات الشعور لدى المتكلمين، وتثير الانفعالات لدى المخاطبين، وإذا كان علم الأسلوب يهدف إلى دراسة اللغة في علاقتها بالحياة الواقعية، فإن معنى ذلك أن الفكر الذي يلتمس تعبيره فيها لا يكاد يخلو من صبغة وجدانية[1].

وفيما يخصّ ميدان الدراسة الأسلوبيَّة يقول د. شكري عيَّاد – متبنيًا أسلوبيَّة شارل التعبيريَّة –: إن الأسلوبيَّة لا تدرس جانبًا بعينه من اللغة؛ وإنّما تقوم بدراستها كلّها؛ فجميع الظواهر اللغويَّة ابتداءً من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيبًا يمكن أن

---

(١) راجع ما يلي: - **شارل بالي:** علم الأسلوب وعلم اللغة العام، ترجمة د. شكري عيّاد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٥، ص٢٩، **د. عبد السلام المسدّي:** الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، ص٢٠، – **د. محيي الدين محسّب:** الأسلوبيَّة التعبيريّة عند شارل بالي، مجلة علوم اللغة، العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٩٨، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٥-٥٣، - **د. شكري عيّاد:** مدخل إلى علم الأسلوب، د.ط، ١٩٩٢، ص٣٢، - **د. موسى سامح ربابعة**: الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٩.

تكشف عن خصّيصة أساسيَّة في اللغة المدروسة، وجميع الوقائع اللغويَّة يمكن أن تشفَّ عن لمحة من حياة الفكر أو نبضة من الحساسيَّة، ولا يمكن في الأسلوبيَّة دراسة لغة العقل بمعزل عن لغة الوجدان فيها؛ وإنما هي تقوم بدراستهما معًا في علاقتهما المتبادلة[١].

من ناحية أخرى يُعرف الأسلوب بأنه اختيار Choice يقوم به المرسِل للتعبير عن موقف معيّن، كما يُعرف بأنه انحراف Deviation عن نموذج آخر من القول يُنظر إليه على أنه نمط معياريّ، وهناك مَنْ ينظر إليه على أنه إضافة Addition لتعبير محايد لا يتَّسم بأية سمة أسلوبيَّة، ثمَّ تكون السمات الأسلوبيَّة إضافة إلى هذا التعبير لتنحو به منحىً خاصًا موافقًا للتعبير
عن سياق بعينه[٢].

ويرجع د. سعد مصلوح الاختلافات حول تعريف الأسلوب أو الأسلوبيَّة إلى مبادئ ثلاثة، وصفها بالتكامل لا يكون أحدها بديلًا عن الآخر، هي[٣]:

– مَنْ ركّز من الدارسين على العلاقة بين المُنشِئ والنصّ راح يتلمّس مفاتيح الأسلوب في شخصية المُنشِئ، وانعكاس ذلك في اختياراته.

– أنّ مَنْ اهتمّ بالعلاقة بين النصّ والمتلقّي، التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ أو السامع حيال المنبّهات الأسلوبيَّة الكامنة في النصّ.

– أنّ أنصار الموضوعيَّة في البحث أصرُّوا على عزل طرفي عملية الاتّصال، وهما المُنشِئ والمتلقِّي، ورأوا أن مفاتيح الأسلوب في وصف النصّ وصفًا لغويًا.

* * *

(١) **د. شكري عيَّاد:** اتجاهات البحث الأسلوبي، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات ، د.ط، ١٩٩٨، ص٣١-٣٢.

(٢) راجع تفصيل ذلك عند **د. سعد مصلوح** في كتابه: الأسلوب، دراسة لغويَّة إحصائيَّة، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، ص٣٧-٤٥، وراجع أيضًا:
Jesley Jeffries and Dan Mclntyre: Stylistics, Cambridge Textbooks Linguistic, Cambridge University Press, First Published, 2010, pp12-17.

(٣) **د سعد مصلوح**: الأسلوب، دراسة لغويَّة إحصائيَّة، ص٤٥-٤٦.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقيَّة

وانطلاقًا من التمهيد النظريّ في الفصل الأول فإن هذا البحث يُعنَى بدراسة بعض الآليات اللغويَّة التي تمثّلها المستويات اللغويَّة الثلاثة: الصوتيّة والتركيبيَّة والمعجميَّة المُشكِّلة لبنية الخبر عند ابن الجوزيّ في نموذجيْن من كتب الخبر عنده، وهما: (أخبار الأذكياء) و(أخبار الحمقى والمغفّلين)، وسيقوم البحث بدراستها وفقًا لترتيب البنية الأساسيَّة للخبر عمومًا التي تتكوّن من السند والمتن والخاتمة على النحو التالي:

● أولًا: السند:

الإسناد "عملية يقوم بها الراوي تتمثل في إنشاء خيطٍ واصلٍ بينه وبين مصدر الخبر"[1]، وهو الطريقة الوحيدة التي تدلّ على صدق انتساب الأخبار القديمة لأصحابها، كما أنه وسيلة لإقناع المتلقّي بصدق ما يُروَى. ويرى د. محمد القاضي أن دراسة الخبر بالاقتصار على المتن فقط هو أمر مجافٍ لطبيعة الخبر؛ لأنَّه يهمل مدخلًا مهمًا من المداخل التي تؤدِّي إلى فهم هذا الضَّرب من الإبداع (يقصد الإسناد)[2]، باعتباره سمة من سمات الأمَّة العربيَّة الإخباريّ القصصيّ. ويمكننا تقسيم الأخبار عنده إلى نوعين: **أخبار مُسنَدة وأخبار غير مُسنَدة**، وهي على النحو التالي:

١- **الأخبار المُسنَدة:** ويأتي إسناد هذه الأخبار عند ابن الجوزيّ على صورتيْن؛ هما:

- الصورة الأولى: الأخبار المتواترة الإسناد بشكل دقيق: وفيها يذكر ابن الجوزيّ الإسناد متَّصلًا بدقَّة، وفيها يبدأ الاستهلال* فيها بأفعال مثل:(أخبرنا/قال/أنبأنا/حدثني/سمعتُ/حكى/بلغني/...)، ويرى الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ه) أنّ أرفع هذه العبارات هي "سمعتُ"... ثمّ يتلوها قول "حدثنا" و"حدثني"... ثم قول "أخبرنا"، وهو كثير في الاستعمال... ثم نبّأنا وأنبأنا وهي قليلة في الاستعمال[3]، وهذا ما

---

(١) **د. محمد القاضي**: الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ص٣١٠.

(٢) السابق، ص٢٢٥.

* آثرتُ دراسة بنية الاستهلال مع تناولي لسند الخبر؛ وذلك لأنّه يمثّل جزءًا من بنية الاستهلال في الخبر.

(٣) **الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت):** الكفاية في علم الرواية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٩٣٨، ص ص٢٨٣-٢٨٤، ٢٨٦.

ظهر عند ابن الجوزيّ أيضًا؛ فنرى الفعل "أخبرنا/أخبرني" هو الأكثر استخدامًا في أخباره. وفيما يلي مثال لسندٍ متواتر عنده، يقول:"**أخبرنا** محمّد بن أبي القاسم، **قال: أخبرنا** أحمدُ بن أحمد، **قال: أخبرنا** أحمدُ بن عبد الله الحافظ، **قال: حدَّثنا** عبيد الله بن محمد العَيْشي، **قال: حدَّثنا** وُهَيْب، **قال: أخبرنا** الجُرَيْرِي، عن أبي العلاء، عن مُطَرِّف، أنه **قال:** ما أوتي عبدٌ بعد الإيمان أفضلَ من العقل"(١).

يتكوَّن الاستهلال هنا من إحدى عشرة جملة بها سبعة رُواة، ويتكوَّن المتن من بعده من جملة واحدة فقط؛ وهذا يدلُّ على شدَّة دقَّته في النقل، كما يعكس المصدافيَّة. واتصال (ياء المتكلّم) في أخبار ابن الجوزيّ تدلُّ على أنه مَنْ سيروي الحدث، وهو أيضًا المستحوذ على تفاصيله وطريقة صياغته. ويكثر هذا النوع من الأخبار في الأحاديث المَرويَّة عن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

أما بالنسبة للفرق بين إسناد الفعل لضمير المتكلِّم المفرد "أخبرني..حدّثني"، وإسناده لضمير المتكلِّم الجمع "أخبرنا... حدّثنا/حدّثا... حدّثني" فلعلّ ذلك يرجع إلى انفراد راوي الخبر مع المفرد، ووجود صحبة من الناس مع استخدام الجمع.

– الصورة الثانية: الأخبار التي يستهلّها بإسناد غير متواتر: وهي الأخبار التي جاءت عنده على صور؛ وهي:

*يسقط ابن الجوزيّ من الإسناد راويًا أو أكثر: **ويدلّ على ذلك أحيانًا بنقاط ثلاثة (...)** تُوضع في الاستهلال بين أسماء الرواة؛ وذلك في مثل قوله: "أخبرنا ابن الحصين ... عن أبي سعيد، قال: خطب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الناس، فقال:"إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل". قال: فبكى أبو بَكْر، فعجبنا من بكائه أن خبّر رسول الله عن عبدٍ خُيِّر، فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به"(٢).

تمثل الحذف هنا في انقطاع السند الذي عبّر عنه ابن الجوزي بالنقاط (...)، فسند الحديث في صحيح البخاريّ كما يلي:"حدّثني عبد الله بن محمّد، حدّثنا أبو عامر، حدّثنا

(١) أخبار الأذكياء، ص٣٤.
(٢) أخبار الأذكياء، ص٥٢.

فُليْح، قال: حدّثني سالم أبو النضر، عن بُسر بن سعيد، عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الناس وقال:... الحديث"(١).

ويقول ابن الجوزيّ أيضًا:"أنبأنا محمد بن عبد الباقي ... حدثنا أبو سهل بن زياد قال: كان

شاعر له ضويعة، فهجا عاملها، وبلغه ذلك، فأمسك عنه، فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر فقسّمها، وحمل غلّة الشاعر أصلًا، فجاء الشاعر إليه يشكو، فقال: يا هذا ليس بيننا معاملة، هجوتنا بالشعر، ونحن نهجوك بالشعير، فقد استوت الحال بيننا وبينك"(٢). وإسقاط أسماء الرواة هنا هو جهل بمعرفتها، فقد نُقلت الأخبار إليه غير متّصلة الإسناد.

* أو يستهلها بإحدى الجمل التالية: "قال رجل/قال بعض الأدباء، الأئمة، الأعراب/حكي أحدهم/قال بعضهم..."، مثل قوله:"وقال بعضهم: رأيت مؤذنًا يؤذّن ثم عدا، فقلت: إلى أين؟ فقال: أحب أن أعرف إلى أين يبلغ صوتي"(٣).

* أو يستهلّها بفعلٍ مبنيٍّ للمجهول؛ مثل:(قِيل/رُوِيَ/حُكِيَ/ذُكِر/سُمِع...)، مثل قوله:"**قيل** لبعض البُلْه، وكان يتحرَّى من الغيبة: ما تقول في إبليس؟ فقال: أسمع الكلام عليه كثيرًا والله أعلم بسريرته"(٤). ومثل قوله:"وحُكي: أن جحا دفن دراهم في صحراء، وجعل علامتها سحابة تظلِّلها"(٥). فاستخدامابن الجوزيّ هنا للفعل المبنيّ للمجهول "قِيل" و"حُكي" في الأخبار وتغييبه للفاعل، قد يكون بغرض الإمعان في التحقير من رد الشخصيَّة التي نُقل عنها هذا الخبر، والإمعان في خلع صفة (الحمق والتغفيل)، أو يكون للجهل بالراوي، أو أنه تعمَّد عدم ذكره في مستهلّ الخبر لسبب ما.

---

(١) **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة):** صحيح البخاري، دار التأصيل، الطبعة الأول، ٢٠١٢، المجلد الخامس، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"سُدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر"، رقم الحديث ٣٦٤٥.
(٢) أخبار الأذكياء، ص٩٤.
(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١١٨.
(٤) السابق، ص٢٠١.
(٥) السابق، ص٤٩.

٢- **الأخبار غير المُسنَدة:** وفيها يبدأ ابن الجوزيّ مباشرةً دون إسناد الخبر إلى راوٍ؛ أي أنها غير متواترة، فلا يستعين في الاستهلال فيها بفعل من الأفعال الدالّة على الإسناد، مثل قوله:"رأى رجلٌ من الأعاجم رجلًا أعور، فقال: قد حان خروج الدجّال، فقال: إنه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب"(١). فالخبر هنا يبدأ مباشرة على لسان ابن الجوزيّ مبتدئًا بجملة فعلية فعلها ماضٍ "رأى"، ولعلّ ابن الجوزيّ قد استغنى عن الإسناد هنا لكونه هو راوي الخبر في الأساس، أو لشيوعها فاستغنى عن السند، أو هربًا من التطويل والتثقيل على القارئ؛ لأنها أخبار تهدف إلى التهذيب أو الفكاهة، لا ينفعها ذكر الإسناد ولا يضرّها حذفه، وفي هذا الشأن يقول ابن عبد ربّه:"وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنّة متّبعة وشريعة مفروضة، فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر، وخبر مستطرف، وحديث يذهب نوره إذا طال وكثر"(٢). وهذا النوع كثير عند ابن الجوزيّ، ومن الأخبار غير المُسنَدة أيضًا قول ابن الجوزيّ:"كان رجل في دارٍ بأُجرة، وكان خشبُ السقف يتفرقع كثيرًا، فلما جاء ربّ الدار يطالبه بالأجرة، قال له: أصلح هذا السقف، فإنه يتفرقع؛ قال: لا بأس عليك، فإنه يسبّح الله! قال: أخشى أن تدركه الرأفة فيسجد"(٣).

وبعد فيمكن القول إنّ السند يمثّل مفتاح الخبر، وهو يعمل على توجيه القارئ لقراءة المتن على نحوٍ ما، أو ينبّهه إلى جوانب بعينها في نصّ المتن.

● **ثانيًا: المتن:**

والمتن هو صلب الخبر ويقوم على استعادة قول مأثور أو نقل حوار بين شخصيتيْن. ويدرس البحث التشكيل اللغويّ لبنية المتن عند ابن الجوزيّ وفقًا للمستويات اللغويَّة التالية: الصوتيّ، والتركيبيّ، والمُعجَميّ، كما يلي:

---

(١) أخبار الأذكياء، ص١٨٦.

(٢) **ابن عبد ربّه (أبو عمر أحمد بن محمد):** العقد الفريد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١، الجزء الأول، ص١٠.

(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧٠.

◄ **المستوى الصوتيّ:**

للجانب الصوتيّ دور في التشكيل اللغوي عند ابن الجوزيّ، حيث يمكن رصد بعض الظواهر الصوتيّة الدّالة عليه عنده في الكتابيْن؛ من بينها على سبيل المثال في كتاب "الأذكياء" قوله:"قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن الحامض ولا تتنحنح؟ فقال: نعم، فلما شربه آذاه، فقال: كبش أملح، وبيت أفيح، وأنا فيه أسمح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: مَنْ تنحنح فلا أفلح"(١).

استخدم الرجل في هذا الخبر كلمات تحتوي على صوت "الحاء" (أملح/أفيح/أسمح)، وهو صوت يخرج من الحلق، و"النحنحة" هي صوت يصدر من الحلق أيضًا، فجاءت الكلمات التي تشتمل على صوت "الحاء" متتالية، وكأنّها عوض عن إصدار "النحنحة" التي سأله عنها أخوه بتعجّب في البداية، وهذا يعكس ذكاء حيلة الرجل وإصراره في الهروب من إصدار هذا الصوت ثباتًا على موقفه الذي بدا من إجابته في بداية الحوار حتّى ختامه أيضًا بقوله "مَنْ **تنحنح** فلا **أفلح**".

والمستوى الصوتيّ تظهر نماذجه بكثرة متمثلة في **ظاهرة "الإبدال الصوتي"**؛ وخاصَّة في كتابه "أخبار الحمقى والمغفّلين"(٢) وجاءت الأخبار الدالة عليها بغرض الإضحاك والسخرية من ردود بعض الحمقى المغفّلين. و"الإبدال الصوتيّ" ظاهرة صوتيَّة قديمة شاعت عند علماء اللغة الأوائل؛ وتعني تغيير صوت مكان صوت في الكلمة، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):"من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء"(٣)، وهي ظاهرة تعكس مرونة اللغة العربيَّة وقدرتها على التنوّع من خلال تغيير أحد فونيماتها* ينتج عن ذلك تغيُّر في معنى الكلمة إلى معنى آخر

---

(١) أخبار الأذكياء، ص١٢٧.

(٢) تناولها بالتفصيل د. السيد عبد الحليم مصطفى الشوربجي في بحثه:"التبادل الصوتي وأثره في توجيه الدلالة (الفكاهية)، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، جرجا، الجزء الرابع ٢٠١٢، العدد ١٦.

(٣) **ابن فارس (أبو الحسين أحمد):** الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ١٩٦٤، ص٢٠٤.

* الفونيم: هو أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتي المعنى.

جديد[1]، وكما ينشأ الإبدال عن طريق الصوامت فهو ينشأ أيضًا من التغيير بين الصوائت (الحركات)، وقد تنبّه علماء اللغة القدامى إلى ذلك أيضًا، يقول ابن جنّي (ت ٣٩٢ ه):"**الذِّل** في الدابة ضد الصعوبة، **والذُّل** للإنسان وهو ضد العزّ، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان، والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق الدابة"[2]، وفيما يلي نماذج توضّح ذلك:

(أ) تبادل الصوامت: والنماذج الدّالة عليه كثيرة، ومنها ما يلي:

– يقول ابن الجوزيّ:"وعن المدائني أن إمامًا قرأ:"ولا الضَّالِّين" بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من

خلفه؛ فقال الإمام: آه ضهري، فقال له الرجل: خذ الضاد من ضهرك، واجعلها في "الظالين" وأنت في عافية"[3].

يظهر الإبدال الصوتيّ هنا في إبدال الإمام حرف "الظاء" بـ "الضاد" في الآية، ويظهر الحمق من امتداد الموقف بقول الإمام بعد ضرب الرجل له:"ضهري"؛ حيث فَعَلَ العكس؛ أبدل "الضاد" بـ"الظاء"، فالإمام أبدل في الموضعيْن فأخطأ، ثم يُختَم الموقف برد الرجل الذي يستدعي السخرية من الإمام.

– ويقول:"وعن محمد بن جرير الطبري قال: قرأ عليها محمد بن جميل الرازي "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو **يجرحوك**"[4].

جاء الإبدال الصوتي هنا متمثلًا في كلمة "يجرحوك"، والأصل في الآية الكريمة "يُخرجوك" يقول تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ **يُخْرِجُوكَ** وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(سورة الأنفال: ٣٠)، وقد نشأ الإبدال هنا لتشابه رسم حرفي (جـ/خـ)؛ نتج عن ذلك كلمة بعيدة عن المعنى المقصود في الآية،

---

(1) **د. تمّام حسّان:** اللغة العربية معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٧٦-٧٧.

(2) **ابن جنّي (أبو الفتح عثمان):** المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق على النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، ١٩٩٤، الجزء الثاني، ص١٨.

(3) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٢٠.

(4) السابق، ص٧٦.

وهذا الخطأ الكتابيّ بين الحروف هو الذي استدعى الفكاهة، وخاصّة أن دلالة الفعل "يجرحوك" تتناسب مع الأفعال السابقة عليه "يُثبتوك/يقتلوك".

– ويقول:"قال الدار قطني:"أملى علينا أبو بكر الصولي حديث أبي أيوب: من صام رمضان وأتبعه **ستًا** من شوال فقال: **شيئًا** من شوال"[1].

استبدل هنا كلمة "شيئًا" بـ"ستًا" في الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزْرَجِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»[2] والتبادل هنا نشأ للتشابه الصوتيّ في صفات حرفي "ش/س"، فهما صوتان رخويَّان مخرجهما من منطقة اللسان كما أن بينهما تشابهًا في رسم الحروف، كذلك ظهر الإبدال في التشابه في الرسم أيضًا بين "ـــــئـــ/ـتـــ"، وهو حديث معروف، وبالتالي فهو يأتي سخريةً من القائل، ودلالةَ على شدة حمقه.

– ويقول ابن الجوزيّ أيضًا :"أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز بإسناد عن محمد بن قتيبة، في حديث عبد الله – يعني: ابن مسعود – أنه ذكر بني إسرائيل وتحريفهم وتغييرهم، وذكر عالمًا فيهم عرضوا عليه كتابًا اختلقوه على الله عزَّ وجلَّ، فأخذ ورقة فيها كتاب الله عزَّ وجلَّ، ثم جعلها في قرن، ثم علَّقه في عنقه، ثم لبس عليه الثياب. فقالوا أتؤمن بهذا؟ قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: آمنتُ بهذا الكتاب؛ يعني الكتابَ الذي في القرن، فلما حضره الموت **بثبثوه**، فوجدوا القَرن والكتاب، فقالوا: إنما عَنَى هذا"[3].

ظهر التبادل الصوتيّ هنا في كلمة "بثبثوه" التي هي في الأصل "بثّثوه"، وقد ذكر ابن الجوزيّ بعد ذلك العلّة من إبدال (الثاء) (باء) فقال:"وهذا ما يرويه الأعمش، عن عمارة

---

(1) السابق، ص٩٠.

(2) **مسلم (أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري):** صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ج٢، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستًا من شوال اتباعًا لرمضان، حديث رقم (١١٦٤).

(3) أخبار الأذكياء، ص١٥٧.

بن عمير، عن الربيع، عن عميرة، عن عبد الله؛ وقوله: "بثثوه" أي: كشفوه، وهو من بثثت الأمر إذا أظهرته، والأصل:""بثّثوه" فأبدلوا من الثاء الوسطى استثقالًا لاجتماع ثلاث ثاءات. كما يُقال:"حثحثت"، والأصل:"حثّثت".

(ب) تبادل الصوائت: وهو قليل عند ابن الجوزيّ، ومنها قوله:"وعن أبي عبيد الله الشطيري قال: كان إبراهيم يقرأ على الأعمش، فقال: قال **لِمَنْ حولِهِ** ألا تستمعون؟، فقال الأعمش "لِمَنْ حَوْلَه"، فقال: ألست أخبرتني أن (من) تجر ما بعدها؟"[1].

يظهر التبادل هنا بين حركتي "الكسرة" و"الفتحة" في كلمة "حوله"، الذي نشأ من الخطأ في فهم اسم الموصول "مَنْ"، والتعامل معه على أساس أنه حرف جرٍّ، وهذا الفهم يعكس حمق الرجل الذي لم يكتفِ بقراءته الخاطئة؛ وإنما يسأل "ألست أخبرتني أن (من) تجر ما بعدها؟".

◄ ثانيًا: المستوى التركيبيّ:

ويقوم المستوى التركيبي بدراسة بنية الخبر على مستوى الجُمل، ويأتي في الدراسة متمثلًا في: أنماط البنية التركيبيّة للاستفهام، ظاهرة الحذف، وبنية المفارقة، وظاهرة دمج الجمل، وبنية الازدواج، كما يلي:

(١) أنماط البنية التركيبيّة للاستفهام:

إذا كان الحوار عند ابن الجوزيّ هو عماد الخبر؛ فإن الاستفهام هو الأداة التي اعتمد عليها الحوار؛ وبالتالي فهو أداة رئيسة في أغلب الأخبار عنده في الكتابيْن، وعليه تقوم الأخبار، وقد ورد الاستفهام بصورتيْه؛ الحقيقيَّة والبلاغيَّة؛ فالحقيقيّ يستخدمه بوصفه جزءًا أساسيًا في الحوار، في صورة مراوحة بينه وبين الجمل الخبريَّة، والمجازيّ يُستخدَم لأغراض بلاغيَّة تناسب الخبر. وهما على النحو التالي:

– يقول ابن الجوزيّ:"قال بعضهم: مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلتُ لشيخٍ منهم: ما ذنب هذا؟، قال: يسب أصحاب الكهف

قلتُ: ومَنْ أصحاب الكهف؟، قال: لست مؤمنًا!

---

(1) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٧٩.

قلتُ: بلى؛ ولكني أحب الفائدة، قال: أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان...،
فقلت له: يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب، فقال: نعم، خذ العلم عن أهله،
فقال واحد منهم لآخر: أبو بكر أفضل أم عمر؟، قال: لا بل عمر،
قال: وكيف علمت؟،
قال: لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولما مات عمر لم يجئ أبو لجنازته"(١).

مثَّلت المراوحة بين الخبر والاستفهام هنا دورًا بارزًا في الكشف عن حمق الشخصيّات القائم عليها الحوار بالتدريج (خبر + استفهام + خبر + استفهام ....)، ليُختَم الحوار بتعليلٍ يظهر فيه الجهل بوضوح مثيرًا الضحك:"لأنه لما مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولما مات عمر لم يجئ أبو بكر لجنازته".

ويعدُّ الفعل (قال... قلتُ...) هو نواة الحوار الأساسيَّة في هذا الحوار – وكلّ حوار–، فهو يستخدمه عوضًا عن الفعل (سألتُ) الذي من المنطقي استخدامه في الحوار قبل السؤال الصادر من الشخصية المُبادرة بالأسئلة؛ لكنّ استخدام فعل القول هنا يضفي على الحوار حيويّة، وكأنه حوار يُقال فيُسمَع، وقد ورد إحدى عشرة مرَّة للكشف عن حمق الشخصيات المُحرِّكة للحوار.

– ويقول أيضًا:"دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك،
فقال له هشام: كم عطاءك؟، قال: ألفين؛ فسكت ساعةً،
ثم قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: فلِمَ لحنت أولًا؟
قال: لم أشْتَهِ أن أكون فارسًا وأمير المؤمنين راجل، لحنتَ فلحنتُ، وأعربتَ فأعربتُ؛ فاستحسن أدبه وأجازه"(٢).

يأتي الاستفهام في هذا الحوار في سياق التعريف بقاعدة نحويَّة، يُظهر ابن الجوزيّ عن طريقها ذكاء الأعرابيّ في ردّه على هشام بن عبد الملك، فقد لحن في كلامه بنصب كلمة "ألفين" التي هي في موضع الرّفع كما لحن الملك في نصب كلمة "عطاءك" بدلًا من

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٩١.
(٢) أخبار الأذكياء، ص١٣٠.

رفعها، ومن الواضح أنّه كان يختبره؛ لأنه أعاد السؤال مرّة ثانية ولكن بإعراب الكلمة، فأعجبه ردّ الأعرابيّ عليه في المرّتين فكافأه. ومثل ذلك أيضًا ما ورد في (أخبار الحمقى والمغفلين) في قول ابن الجوزي:"وعن ميمون بن هارون، قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحمارِه؟ قال:(باعِهِ)، قال: قل:(باعَهُ)، قال: فلِمَ قلت بحمارِه؟ قال: الباء تجر، قال: فمَنْ جعل باءك تجر، وبائي ترفع"(١). يعكس هذا الخبر السخرية من ردِّ الرجل الذي لا يعرف عن (الباء) سوى أنها حرف جرّ لما يتصل بها.

وقد يخرج الاستفهام الحقيقيّ عن معنى السؤال وطلب الإجابة إلى أغراض أخرى؛ وذلك في مثل قوله:"ومن المنقول عن ابن المبارك رضي الله عنه: قال حميد: عطس رجلٌ عند ابن المبارك فلم يحمد الله، فقال له ابن المبارك: **أي شيءٍ يقول القائل إذا عطس؟** قال: الحمد لله، قال: يرحمك الله"(٢).

فابن المبارك هنا لا يجهل إجابة السؤال؛ بل آثر أن يدفعه لقول "الحمد لله" عن طريق سؤاله؛ لا عن طريق الأمر المباشر: قل الحمد لله، مثلًا...، وهذا يدلّ على ذكائه وأدبه في رفع الحرج عن الرجل.

وقد يأتي الاستفهام محذوفًا أداته، وهذا يكون في الاستفهام التنغيميّ الذي يُفهَم من طريقة نطق المتكلّم له، وبها تُعرّف دلالته، مثل قوله:"وعن يحيى بن يزيد قال: جاء شرطيٌّ يطلب رجلًا من مجلس ابن عون، فقال: يا أبا عون، **فلانًا رأيتَه؟** قال: ما في كل الأيَّام يأتينا؛ فذهب وتركه"(٣).

جاءت جملة الاستفهام محذوفة الأداة "فلانًا رأيتَه؟"، والتقدير: "هل رأيت فلانًا؟" لمناسبة المقام؛ فالسائل شرطيّ فهو يسأل على وجه السرعة اختصارًا، كما أنه قدّم اسم الشخص (فلانًا) على الاستفهام للاهتمام بالمطلوب، ومن البديهي أن تكون إجابة يحيى بن يزيد على هذا السؤال بـ: نعم أو لا؛ لكنّ إجابته جاءت جملة منفيَّة "ما في كلّ الأيّام

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٣٠.
(٢) أخبار الأذكياء، ص١١٢.
(٣) السابق، ص١١١.

يأتينا"؛ لتعكس ذكاءه في الهرب من الإجابة الصريحة عن السؤال بما قد يُعرِّض المسؤول عنه للأذى.

ويقول ابن الجوزي أيضًا:"قال بعضهم: رأيت رجلًا محمومًا مصدعًا يأكل التمر ويجمع النوى، فقلت: **ويحك، أنت بهذا الحال وتأكل التمر؟** فقال: يا مولاي، عندي شاة ترضع وما لها نوى، فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى، فقلت: أطعمها التمر والنوى، قال: أوَيجوز ذلك؟ قلت: نعم، قال: والله لقد فرَّجت عني، لا إله إلا الله، ما أحسن العلم"(١).

وتقدير السؤال هنا "كيف تأكل التمر وأنت بهذا الحال؟"، وهو يسأله تعجبًا من حاله كيف يفعل ما يضرّه، وقد تبدّى حمق الآكل في جوابه وسؤاله، ثمّ قوله في ختام كلامه متعجبًا: ما أحسن العلم!، فهذا أمر بديهي لا يستدعي التعجّب؛ لكنّ استخدام أسلوب التعجّب عبّر عن انفعاله تجاه ما لا يستوجب هذا الانفعال ومن ثمّ شدّة الحمق.

وقد **يأتي الاستفهام مُقتبَسًا من القرآن الكريم** في مثل قوله:"أخبرنا محمد بن ناصر، حدثنا أبو الحسن المدايني، قال: قال بعض العلماء: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفًا، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمرّ بنا، فكلما رأيناه قلنا:﴿**مَتَى هذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُم صَادِقِين**﴾(سورة يسن: آية ٤٨)، فيسكتُ، إلى أن اجتمع ما يريده، فمرّ بنا، فأعدنا عليه القول، فقال:﴿انْطَلِقُوا إلَى مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُون﴾(سورة المرسلات: آية ٢٩)"(٢).

جاء الاستفهام في القرآن الكريم على لسان الكفار مُخاطِبين به رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم معبّرين عن استبعاد يوم القيامة، وهو يُستخدَم هنا أيضًا مُعبِّرًا عن استبعادهم دعوته إيَّاهم إلى منزله، وجاء ردّه عليهم بالأسلوب نفسه بخطاب الله تعالى للمكذّبين بيوم القيامة. وهذا الخبر يعكس ظرف الرّجل؛ فردّه لم يأتِ سريعًا؛ وإنّما بعد تمهّل ليردّ بما يتناسب مع سؤالهم.

إذًا، فقد مثّل الاستفهام أداة لغويَّة مهمَّة في الخبر – إن لم يكن هو الأهمّ على الإطلاق– فهو يُستخدَم في معظم الأخبار في الكتابيْن لتنمية الحوار والكشف عن جوانب

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧٧.
(٢) أخبار الأذكياء، ص١٩٧.

مختلفة في الشخصيات المتّصفة بالذكاء أو بالحُمق، كما أنه يأتي على صور مختلفة؛ حقيقيّ ومجازيّ، ويُستخدم في صياغات عدّة تناسب السياق الموظَّف فيه. ولأنّ الخبر كلٌّ متماسك؛ فالاستفهام لا يتّضح غرضه بمَعزل عن الأساليب اللغويَّة الأخرى من مفارقة وتقديم وتأخير وغير ذلك.

(٢) ظاهرة الحذف:

عالجت الأسلوبيَّة (الحذف) باعتباره وسيلة من وسائل الانحراف عن المستوى التعبيريّ العاديّ، ويستمدُّ أهمّيته في أنه لا يُورد المنتظَر من الألفاظ، ومن ثَمَّ فهو يحرّك ذهن القارئ لتوقّع ما هو محذوف[١].

ولأن بنية الخبر تميل غالبًا إلى الاختصار والإيجاز؛ لذا فهو يمثّل وسيلة لغوية مهمَّة في التشكيل اللغويّ لبنية الخبر، وقد ظهرت عند ابن الجوزيّ في صورة تتمثّل في حذف بعض الحوارات السابقة أو جزء من السرد سواء كانت مذكورة في الخبر نفسه أو تشير إلى السياق الخارجي له، ويستخدم في ذلك جملة تشير إلى المحذوف:(فأخبرته بما حدث/ فأخبره بالقصّة/ كذا كذا...)، وتُستخدَم في الأخبار الطويلة بهدف الاختصار وعدم الإسراف في التطويل؛ لكي لا يُثقل على القارئ، أو لعدم أهمية ذكر المحذوف من الخبر، ومنه على سبيل المثال:

– يقول ابن الجوزيّ:"أخبرنا أبو محمّد القرشي، قال: استودع رجلٌ رجلًا مالًا، ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال الطالب: إني دفعت المال إليه، قال: ومَنْ حضر؟ قال: دفعتُه في مكان **كذا كذا**، ولم يحضرنا أحد. قال: فأيُّ شيء في هذا الموضع؟ قال: شجرة، قال: فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة، فلعلّ الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبيّن به حقّك... وقال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك... ثم قال له: يا هذا! أرى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا، قال: يا عدوّ الله! إنك لخائن.

(١) **د. فتح الله أحمد سليمان:** الأسلوبيَّة، مدخل نظري ودراسة تطبيقيَّة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤، ص١٣٧.

قال: أقلني أقالك الله؛ فأمر أن يُحتَفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: قد أقــرّ بحقّــك فخذه"[١].

فقد حذف المكان هنا، واستعاض عنه بقوله:"كذا كذا"؛ لأن تفاصيل هذا المكان لــن تضيف إلى الخبر ما ينفعه، وحذفها لن يضرّه. ثمّ ذكر بعد ذلك مــن أوصــاف المكــان (وجود الشجرة) ما سيكون له دور – في نهاية الخبر – في الحيلة التي أوقع بها إياس بن معاوية الرجل.

– وقد ظهر ذلك عند ابن الجوزيّ أيضًا في (أخبار الحمقى والمغفلــين)، وهــو يحصــى أخبار النساء المنسوبات إلى التغفيل؛ حيث ذكر أخبارهنّ؛ ولكنَّه عندما وصل إلــى ذكــر إحداهنَّ قال:"ومنهن الممهورة إحدى خدمتيها أنبأنا محمّد بن عبد الملك قال: حــدثنا ابــن خلف قال: يقال هو (أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها) وهي امرأة من فزارة"[٢]. حذف قصتّها، مكتفيًا بالإشارة إليها سريعًا بما ذكره، وكأنَّه يفترض أن القارئ يعرفها.

– ومن صور الحذف عنده أيضًا حذف أداة الاستفهام، وقد سبق الحديث عنه في الاستفهام التنغيمي (ص٢٢).

(٣) بنية المفارقة:

وهي صيغة من التعبير، تفترض من المخاطــب ازدواجيــة الاســتماع double audience بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيًا يكمن فيــه مــن ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه يدرك أن هذا المنطوق لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحيّة[٣].

وقد وردت المفارقة عند ابن الجوزيّ في كتاب (أخبار الحمقى والمغفَّلين)؛ باعتبــار السخرية هدفًا أساسيًا من تأليف الكتاب. وإن كان معظم ما ورد ما فــي الكتــاب بهــدف الإضحاك بشكل صريح؛ إلا أنّ المفارقة قد جاءت عنده في مواضع منها:

---

(١) أخبار الأذكياء، ص٩٩.
(٢) الخدمة هنا: فردة الخلخال. أخبار الحمقى والمغفلين، ص٦٢.
(٣) **د. محمد العبد**: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص١٥.

– يقول ابن الجوزيّ:"وعن عبد الله بن إبراهيم الموصلي قال: نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول لعبد الملك شامي عنده، فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزّيني بأبيات، فقال الشامي: أقول؟ قال: قل، فقال: وكل خليل سوف يفارق خليله، يموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئًا لا نعرفه. فقال الحجاج: قد سلّيتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين، إذ وجّه مثلك لي رسولًا"(١).

تتَّضح المفارقة هنا في قول الحجّاج الذي اختتم به الخبر "قد سلّيتني..."؛ حيث يظهر التناقض بين ما ذكره الشاميّ "وكل خليل سوف يفارق خليله، يموت أو يُصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يقع في بئر..."، واستخدام الفعل "سلّيتني"، فالسلوى تكون بكلام يهوّن على المُبتلَى لا بكلام يُنذره بميتة سوءٍ مثل ما ذكر، كما تظهر المفارقة أيضًا في استخدام الفعل "يعزّيني" في بداية الخبر؛ فما ذكره بعد ذلك يتناقض مع معنى العزاء، وأخيرًا فإنّ مقولة الحجّاج في نهاية الخبر تفيد أن الحمق أعظم من الموت، وكأنّ مصيبة عبد الملك مروان في حمق رسوله تفوق مصاب الحجّاج في صديقه.

– ويقول:"وكتب رجل من البصرة إلى أبيه: كتبت إليك يا أبتِ، نحن كما يسرك الله عونه وقوته، لم يحدث علينا بعد إلا كلّ خير، إلا أن حائطًا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري"(٢).

تظهر المفارقة هنا في قول الرجل "إلا أن حائطًا لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري"، بعد كلمة "خير"؛ فقد ذكر بعدها ما يخالف معناها، فظهرت المفارقة في التناقض في الكلام.

– ويقول ابن الجوزيّ أيضًا:"عن إسماعيل بن زياد، قال: نشزت على الأعمش امرأته، وكان يأتيه رجل يُقال له (أبو البلاد) فصيح يتكلم العربية، يطلب منه الحديث، فقال له: يا أبا البلاد: إن امرأتي قد نشزت عليّ وغمتني، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها فقال: إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١١٥.
(٢) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١١٦.

نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا، لا يغرّك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه. فغضب الأعمش عليه وقال: أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي، فأخرجه"[1].

وتتّضح المفارقة هنا في الجملة التي قالها أبو البلاد لزوجة الأعمش "لا يغرّك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه" التي لا تتناسب مع طلب الأعمش منه "أخبرها بمكاني عن الناس"، فقد ذكر لها ما يستوجب لها أن ينفّرها منه أكثر، وهذا حمق يستدعي الضحك والسخرية من كلامه.

(٤) ظاهرة دمج الجمل:

وقد أشار إليها د. محيي الدين محسب في تناوله للأسلوبيَّة التعبيريَّة عند شارل بالي؛ حيث عدّها من الظواهر التركيبيَّة، واستخدامها لتؤدِّي معنى الكلمة الواحدة إنما يعود إلى ميل العناصر الانفعاليَّة إلى وقف التحديدات الفاصلة بين أجزاء الجملة المنطقيَّة أو التحليليَّة، وضرب لذلك مثلًا بالتركيب:(يا دين محمد) الذي يعادل دلاليًا التعبير الانفعاليّ الذي تثيره كلمة (هائلة!!)[2]. وقد وردت عند ابن الجوزيّ على النحو التالي:

– يقول:"أخبرنا المحمدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، عن الجنيد قال: سمعت السّريّ يقول: اعتللْتُ بطرسوس علة الذرب، فدخل علّ هؤلاء القرّاء يعودونني، فجلسوا، فأطالوا، فآذاني جلوسهم، ثمّ قالوا: إن رأيت أن تدعو الله؛ فمددتُ يدي، فقلتُ: **اللهمّ علِّمنا آداب العيادة**"[3].

تمثّل الدمج في قوله "اللهمَّ علِّمنا آداب العيادة" التي تعادل التعبير الانفعاليّ: (انصرفوا)، الذي يعبِّر عن ضجره بطول مدَّة جلوسهم عنده وهو مريض، وقد صاغه في صورة دعاء تعريضًا بفعلهم.

– ويقول أيضًا:"تزوّج أعمى امرأة، فقالت له: لو رأيت حُسني وبياضي لعجبتَ! فقال: لو **كنتِ كما تقولين ما تركتِ لي البُصَراءُ**"[4].

---

(1) السابق، ص١٥٤-١٥٥.
(2) د. محيي الدين محسّب: الأسلوبيَّة التعبيريَّة عند شارل بالي، ص٦١.
(3) علة الذرب: شيء يكون في عنق الإنسان مثل الحصاة. أخبار الأذكياء، ص١٢١.
(4) أخبار الأذكياء، ص١٩٩-٢٠٠.

يعادل قول الرجل لزوجته "لو كنتِ كما تقولين ما تركتكِ لـــي البُصَـــراءُ" التعبيـــر الانفعالي الذي تحمله كلمة (قبيحة)، فاستخدام جملة الشرط هنا ينفي عنها الجمال.

– ويقول ابن الجوزيّ أيضًا:"دخل أحمق على مريض فقال: إذا رأيتم المريض على هـــذه الحال، **فاغسلوا أيديكم منه**"[1].

وجملة "فاغسلوا أيديكم منه" تعكس المعنى الانفعالي المتمثل في (اليأس) من شفاء هذا الرجل، وبالتالي فقوله تعكس تشاؤمًا يدلّ علي حمق قائله؛ لأنه لا يتناسب مع المقام الذي قِيل فيه.

(٥) بنية الازدواج:

تتميّز لغة الخبر عند ابن الجوزيّ بالبساطة وعدم الجنوح إلى التصـــنّع والزخرفـــة اللفظيَّة، فهو لا يستخدم الموسيقى المتمثلة في الازواج إلا قليلا؛ ويوظّفها بغرضٍ ما، ومن بين النماذج التي وردت عنده ما يلي:

– يقول:"قيل: رُفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: **السعاية قبيحة، وإن كانت نصيحة، فإن كنت أخرجتَها بالنصـــح، فخســـرانك أكثـــر مـــن الربح، وأنا لا أدخل في محظور، ولا أسمع قول مهتوك في مستور، ولولا أنك في خِفارة شيبتك، لقابلتُك على جـــريرتك، مقـــابلة تشبه أفعـــالك، وتُردع أمثـــالك، فاســـتر على نفســـك هذا العـــيب، واتق مَنْ يعلم الغيب**، فإنَّ الله للصالح والطالح بالمرصاد"[2].

وقد جاء الازدواج هنا في ردّ فعل الوزير؛ لأنه خطاب مكتوب يتوجّه به إلى الساعي بالقصة، يهذّبه ويقرعه وينصحه للكفّ عن فعلته السيئة؛ وخاصَّة لأنه في شَيْبة.

– ويقول أيضًا:"حدثنا أبو حمزة المؤدب، قال: حدثنا أحمد بن محمد القزوينـــي – وكـــان شاعرًا – أنه دخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس، فقال: يا نخـــاس، **اطلـــب لـــي حمارًا لا بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري، ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تـــدفق، وإذا**

(1) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧٦.
(2) أخبار الأذكياء، ص٨٠.

أكثر الزحام ترفق، فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة: دعني، إذا مسخ الله القاضي حمارًا اشترتيه لك"[1].

وظّف الازدواج هنا في ثنائيَّات متقابلة يصف بها أحمد بن محمّد القزويني الحمار:

لا بالصغير المحتقر/ولا بالكبير المشتهر

إن أقللت علفه صبر/وإن أكثرت علفه شكر

لا يدخل تحت البواري/ولا يزاحم بي السواري

إذا خلا في الطريق تدفق/وإذا أكثر الزحام ترفق

وقد استخدم ابن الجوزي الجملة الاعتراضيَّة في استهلال الخبر (وكان شاعرًا) كي يربط بين كونه شاعرًا واستخدام الموسيقى في الأسلوب في الخبر؛ فهو شاعر لذا فمن المتوقَّع أن يستخدم الازدواج في كلامه المُبالَغ فيه الذي دفع النخاس ليرد عليه بمبالغة تفوق مبالغته. وردّه هذا لم يأتِ مباشرة بعد الانتهاء من كلامه؛ وإنّما ذكر ابن الجوزيّ الفترة الزمنيَّة "ساعة" ليعكس أثر كلام أحمد القزويني على النّخاس.

◄ ثالثًا: المستوى المعجميّ:

تتميّز لغة الأخبار عند ابن الجوزيّ بالبساطة والوضوح؛ إلّا أنّها لم تخلُ من بعض الألفاظ الغريبة التي يصعب على القارئ المعاصر فهمها دون الرجوع إلى معاجم اللغة؛ ويتَّضح ذلك فيما يلي:

– يقول ابن الجوزيّ:"وعن إسحاق بن محمد الكوفي، قال: جاء أبو علقمة إلى عمر الطبيب فقال: أكلت **دعلجًا،** فأصابني في بطني **سجح،** فقال: خُذ **غلوص وخلوص،** فقال أبو علقمة: وما هذا؟ قال: وما الذي قلت أنت؟ كلمني بما أفهم، قال: أكلت زبدًا في **سكرجة،** فأصابني نفخ في بطني، فقال: خد صعترًا*"[2].

([1]) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٣٤.

* دعلجا: الأكل بنَهَمَةٍ، أو النبات الذي آزر بعضه بعضًا (لسان العرب: ج٥، مادة: دعلج)، سجح: لين أو إسهال (لسان العرب، ج٦، مادة سجح)، غلوص: اللحم الذي بين الرأس والعنق (لسان العرب ج١٠، مادة: غلص) خلوص: الثُفل الذي يكون أسفل اللبن (لسان العرب، ج٤، مادة: خلص)، سكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية (لسان العرب: ج٦، مادة: سكرج).

([2]) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٣٥.

– ويقول أيضًا:"أنبأنا أبو بكر، عن أبي الحسن عليّ بن الحسين الصيدلاني، قال: كان عندنا غلام حدث من أولاد النباهة، فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه... فجاز بعض الأطباء فعرف حاله... فقال الطبيب: غدًا أعالجك بإذن الله تعالى، فلما كان الغد، جاء بقدر **أسْفِيدَاج*** قد طبخها من لحم جَرْو سمين، فقال للعليل: كل هذا..."(١).

– ويقول:"أنبأنا محمد، قال: أنبأنا على بن المحسّن، قال: حدثني محمد بن عمر المتكلم، ويلقَّب جنيد؛ قال: حدثني رجل من الدقَّاقين، قال: أورد عليَّ رجلٌ غريب **سُفْتَجة*** بأجل، وكان يتردّد عليّ إلى أن حلَّت **السفتجة**، ثم قال لي: وأودعها عندك حتى آخذها متفرّقة"(٢).

– ويقول:"وحكي عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث **الأَصْبَهْبُذ*** إلى الروم في جيش عظيم، فأعطى من الظفر ما لم يُعْطه أحد قبله، وأخذ الأصبهبذ خزائن الروم ووجّها على هيئتها إلى كسرى"(٣).

وفيما يلي بعض الألفاظ الغريبة عند ابن الجوزي في الكتابين؛ سواء كانت معرَّبة (فارسيَّة أو لاتينيَّة) أو مهجورة:

---

* الإسْفِيداجُ، بالكسر: هو رَمادُ الرَّصاص والآنُكِ، والآنُكِ، والآنُكِيُّ إذا شُدّدَ عليه الحريقُ صارَ إسْرِنْجًا، مُلطِّفٌ، جَلاَءٌ، وهو مُعَرَّبٌ. (الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تعليق: الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨، مادة: سفدج، رقم: ٤٣٨٠).

(١) أخبار الأذكياء، ص٢٣١.

* **السُّفْتَجَة**: تعريب للكلمة الفارسية "سَفْتَه" وهي: الورقة التي يكتبها المدين للدائن، ويذكر فيها قيمة الفرض وموعد أدائه، و"السُّفْتَجَة" أن يعطي الرجل مالًا للآخر، وللآخر مالٌ في بلد المُعطِي، فيوفيه إياه ثَمّ، فيستفيد أمنَ الطريق (راجع القاموس المحيط: مادة سفتج، رقم: ٤٣٧٥).

(٢) أخبار الأذكياء، ص٢٤٧.

* **الأَصْبَهْبَذ**: كلمة فارسية تعني: ضابط كبير بالجيش، ويقول ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في مادة طبرستان من "معجم البلدان": "وكانت ملوك الأرض يولّوا منها رجلًا، ويسمُّونه الأصبهبذ، فإذا عقدوا له عليها لم يعزلوه حتى يموت، فإذا مات أقاموا مكانه ولده إن كان له ولد وإلا وجّهوا بأصبهبذ آخر"(راجع: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله): معجم البلدان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٠٦، الجزء السادس، مادة: طبرستان).

(٣) أخبار الأذكياء، ص٢٢١.

- **أخبار الأذكياء:**

(خرذاذي/هيمان/أعفار/القهرمان/كوزشبه/الرستان/الإيارج/الطنز/القربوس/أنزروت/ماسبذان/لالكته/الرزداق/الذرابات/السرقيني/الشذاب/بازياري/رواهش/المصاع/الحجف/الكراع/الغرائر/اخترط).

- **أخبار الحمقى والمغفلين:**

(البقلة/الدفنس/القرثع/الداعكة/لاطئة/الكوسج/السكباج/تلمظ/المرزبان/الروشن/البرسام/اسفيداجة/ شلنديتان/الدعلج/السكرجة/السفتجة/المكوك/الرستاق/دوانيق/برنية/الغضارة).

وهو لا يذكر معنى لفظٍ من هذه الألفاظ إلَّا نادرًا، في مثل قوله:"استأذن حاجبٌ بن زُرارة على كسرى، فقال له الحاجب: مَنْ أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلمّا وقف بين يديه قال له: مَنْ أنت؟ قال: سيّد العرب، قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى، ولكنَّني وقفتُ بباب الملك وأنا رجلٌ منهم، فلمّا وصلتُ إلى الملك سُدْتُهم. فقال كسرى: **زه، احْشُوا فاه دُرًّا (وزه: كلمة فارسية بمعنى: أحسنتَ، أو حسنًا)**"[1].

واستخدام ابن الجوزيّ لهذه الألفاظ في الأخبار يعكس ثقافته المتنوّعة وسعة علمه.

وهناك ظاهرة لغويَّة تُلاحظ من قراءة أخبار الكتابيْن؛ وتتمثَّل في استخدام كلمة "**إيش**" المُستخدَمة اليوم في عامّية لهجات بعض البلدان العربيَّة، وقد تكرَّرت في مواضع عدَّة عنده، وعند الاستقصاء عن هذه الأداة اتّضح أنها قد استُخدمت قديمًا في لغة الكلام؛ فقد أوردها الطبري (ت ٣١٠ه) في تاريخه على لسان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[2]، كما وردت على لسان الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ه)[3]، وغير ذلك من

---

(1) أخبار الأذكياء، ص١٢٩.

(2) جاء في تاريخ الطبري:"خرج عمر بن الخطّاب يومًا يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيًا، فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة، فإنّ عليّ خراجًا كثيرًا، قال: كم خراجك؟ =قال: درهمان في كل يوم. قال: **وأيش صناعتك؟** قال: نجار نقاش حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال".راجع: **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)**: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، ص٢٤٣.

(3) فقد رُوي عن ابن حنبل أنه قال متعجبًا من إسناد حديث (أيش في هذا الحديث من العجب هذا خطأ). انظر: **ابن حزم (أبو محمد بن أحمل بن سعيد)**: حجّة الوداع، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، د.ط، ١٩٩٨، ص٢٤٦.

المواضع التي وردت فيها، ويقول الأنباري (ت ٥٧٧ه) في تفصيلها:"إلا أنه لما كثر في كلامهم، وجرى على ألسنتهم، حذفوا بعض الكلام تخفيفاً، كما قالوا: "أيش" والأصل فيه "أيّ شيء"[١]. **وخلاصة هذا الكلام** أنّ هذه الكلمة منحوتة من كلمتين هما "أيَّ شيءٍ"، وتحولّت بكثرة الاستخدام إلى كلمة واحدة "إيش"؛ حيث كُسرت همزة "أيّ"، وتحوّلت الياء المُضعّفة فيها إلى حركة طويلة والتصقت بحرف الشين في كلمة "شيء" بعدها، وحُذفت الياء والهمزة، وقد جاءت عند ابن الجوزيّ في الكتابيْن في مواضع، من بينها:

– يقول:"قال: شتم رجلٌ رجلًا من العوامّ، فقال له: **إيش** قلك لك؛ فأوهمه أنه يسأل: أيُّ شيء قلتُه لك حتى تشتمني؟. وإنما أراد: أيّ شيء قلتَه فهو لك؛ وهذا من عجيب الفطنة"[٢].

وابن الجوزيّ يُورد الكلمة هنا في متن الخبر، ويذكر أصل معناها في خاتمة الخبر "أيّ شيء" للإشارة إلى شدّة ذكاء الرجل، فهو يشتم نفسه وفقًا لردّ الرجل الآخر الواقع عليه الشتم "إيش قلتَ لك". فمن دون ذكر تفسير الجوزيّ لدلالة الكلمة في السياق لا يُفهَم موضع الذكاء في هذا الخبر.

– ويقول:"قال بعضهم: رأيت رجلًا يبيع الرمان في الأسواق، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر، فجاءته امرأة فقالت: يا أبا جعفر، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال: لا يا غافلة، قالت: **وإيش** كانت؟ قال: من الملائكة"[٣].

جاءت كلمة "إيش" هنا بمعنى الاستفهام، يقصد:"أيّ شيء كانت؟".

* * *

(١) **الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد):** كتاب أسرار العربيّة، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، تحقيق: محمد البيطار، ص٢٣٢.
(٢) أخبار الأذكياء، ص٢٠٦.
(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٩٠.

● **ثالثًا: خاتمة الخبر:**

وللخاتمة أهمّية في بناء الخبر، ففيها ينفكّ الصّراع بين البنية الشكليّة من جانب، وبنية الموضوع الذي تظهر فيه خصائص السياق الاجتماعي من جانب آخر، كما أن فيها تحصيل المتعة للقارئ، فضلًا عن النهايات المفتوحة التي تفتح أفقًا متجددًا للاحتمالات المختلفة حول موضوع الخبر(١). وقد تعدَّدت خواتيم الخبر عند الجوزيّ، وجاءت على صور؛ وهي كما يلي:

(أ) تعليقه على الخبر استحسانًا أو استهجانًا: ومن النماذج التي جاءت على هذه الصورة:

– يقول:"وقد روينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعسُّ المدينة بالليل، فرأى نارًا موقَدَة في خباءٍ، فوقف، وقال: يا أهل الضوء؛ وكره أن يقول: يا أهل النار؛ **وهذا من غاية الذكاء**".

فعنوان الكتاب "أخبار الأذكياء"، ومن المعلوم للقارئ سلفًا أنَ كلّ ما يُروى هي مواقف تعكس ذكاء أصحابها؛ لكنّه آثر أن يتدخّل بتعليقه على الخبر هنا، ولا يكتفي بروايته، فختم الخبر بجملة "وهذا من غاية الذكاء" ليعكس المركّب الإضافي "غاية الذكاء" تأكيد نسبة الذكاء إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وليعبِّر عن شدَّة إعجابه بقوله. ومثل ذلك أيضًا قوله:"قال: شتم رجلٌ رجلًا من العوام، فقال له: إيش قلت لك، فأوهمه أنه يسأل: أيّ شيء قلته لك حتى

تشتمني؟ وإنما أراد: أي شيءٍ قلتُه فهو لك؛ **وهذا من عجيب الفطنة**"(٢).

– يقول:"ورُوينا عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسنُّ أم أنت؟ فقال له: إنِّي لا أذكر ليلة زُفَّت أمك المباركة على أبيك الطيِّب، **وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل: أمّك الطيِّبة**"(٣).

---

(١) **د. ناهضة ستار:** بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات، والوظائف، والتقنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص٨٥.

(٢) أخبار الأذكياء، ص٢٠٨.

(٣) السابق، ص٢١٧.

(ب) أن تأتي الخاتمة عبارة عن تخريج لبعض الأحاديث النبويَّة: وهذا يكون بعد بعض الأخبار التي تُروى عن الأنبياء عليهم السَّلام، والأخبار التي يرويها عن الرّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومنها على سبيل المثال ذكر الجُمل التالية:"أخرجاه في الصحيحيْن... انفرد بإخراجه مسلم". فإنه يشير إلى وجودها في الصحيحيْن أو في أحدهما؛ ومثال ذلك قوله:"أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا يونس، قال: حدَّثنا ليث، عن محمد بن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال:"خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما، فأخذتا يختصمان في الصبي الباقي، فاختصمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرتا على سليمان عليه السلام، فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة، فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظي منه لها، فقال: هو ابنك، فقضى له لها. **أخرجاه في الصحيحيْن**"[1].

([1]) أخبار الأذكياء، ص٤٣. وقد جاء الحديث في **صحيح البخاري** بنصّه الآتي:"حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، قال:حدّثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقال الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام، فأخبرتاه، فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية"(صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابنًا، الجزء الثامن، حديث رقم ٦٧٦٩. وفي **صحيح مسلم** بنصه:"حدّثني زهير بن حرب. حدّثني شبابة. حدّثني ورقاء عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب =بابنك أنت. وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود. فقضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن =داود عليهما السلام. فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسكين أشقُّه بينكما. فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها. فقضى به للصغرى. قال: قال أبو هريرة: والله، إن سمعتُ بالسكين قط إلا يومئذٍ، ما كنا نقول إلا المُدْية"(راجع صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين، حديث رقم ١٧٢٠).

(جـ) أن يُختَم الخبر بخاتمة مفتوحة عن طريق الاستفهام: ويكثر في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) باعتبار الاستفهام طريقة للسخرية من الحمقى والمغفلين؛ على النحو التالي:

– يقول ابن الجوزيّ في شأن الأحمق هنبقة:"واسمه يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان، أحد بني قيس بن ثعلبة. ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضلَّ نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به، فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه فلما أصبح قال: يا أخي أنت أنا، **فمَنْ أنا؟**"(١).

وحمل الاستفهام الذي اختُتِم به الخبر النصيب الأكبر من السخرية، فهذا الأحمق لم يكتفِ باستخدام القلادة لتمييز نفسه؛ وإنَّما جهل نفسه عندما تحوَّلت إلى غيره.

– ويقول:"قال بعض الأدباء، قال: سُئل خطيب أيّ أفضل: معاوية أم عيسى بن مريم؟ فقال: لا إله إلا الله، **أتقيس كاتب الوحي بنبيّ النصارى؟**"(٢).

ويمثّل الاستفهام الاستنكاري هنا محور الخبر الذي يعبِّر عن شدّة حمق الردِّ، ومن ثَمَّ شدَّة جهل صاحبه الذي يثير الضحك، وبخاصّة أنه صادر من خطيب من المفترض أنه على علمٍ بدينه بدرجة تفوق العوامّ.

(د) أو يختتم الخبر بالإشارة إلى مصادر أخرى له:

– يقول:"وعن أبي النقاش قال: قيل لبعد الله بن مسعود القاضي، تجيز شهادة العفيف التقي الأحمق؟ قال: لا وسأريكم هذا، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي – وكان أحمق – فلما أتاه قال: اخرج فانظر ما الريح، فخرج ثم رجع فقال: شمال يشوبها جنوب، فقال: كيف أتروني أجيز شهادة مثل هذا؟ قال: **وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة**"(٣).

(ه) أو يختتم الخبر بجملة تفسِّر ما قبله: ويستخدم فيها أفعال من قبيل (يعني/يشير/يريد/يقصد...)، ومن بين ما ورد في ذلك ما يلي:

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٤٣.
(٢) لأخبار الحمقى والمغفلين، ص١٦١.
(٣) السابق، ص١٣٧.

– يقول ابن الجوزيّ:"ودعا أعرابيٌّ على عاملٍ، فقال: صبَّ الله عليك الصادات؛ **يعني: الصَّفع والصَّرف والصَّكّ**"(١).

– ويقول:"رُؤي فقير في قرية، فقيل له: ما تصنع؟ فقال: ما صنع موسى والخضر عليهما السلام. **يعني** قوله:"اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا"(سورة الكهف: آية ٧٧)"(٢).

– ويقول:"جاءت جاريةُ رجلٍ إليه وهو في الموت بشيء يشربه فكرهه، فقالت له: يا سيّدي! غمّض عينيك وخُذه، فقال: كذا أفعل. **يشير إلى** أنه يموت"(٣).

– ويقول ابن الجوزيّ أيضًا:"ومدح رجلٌ رجلًا يُقال له "يسيرُ" فقال في مدحه:

وفضلُ يَسير في البلاد يسيرُ فقيل له: إنك قد مدحتَه، وإنه لا يعطيك شيئًا؛ فقال: إن لم يعطني شيئًا قلتُ بيدي هكذا. وضمّ أصابعه، **يعني: إنه قليل**"(٤).

– يقول:"وأذَّن مؤذِّن فقيل له: ما أحسن صوتك؟ فقال: إن أمي كانت تطعمني البلادة وأنا صغير. **يريد البلاذر**"(٥).

(و) أو يختتم الخبر بالاستشهاد من القرآن الكريم أو من الشعر: ومن ذلك قول ابن الجوزيّ:

– "رُوي أنَّ رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون، فأحضره فرعون وأحضرهما، فقال للساعين: مَنْ ربُّكما؟ قالا: أنت، فقال للمؤمن: مَنْ ربُّك؟ قال: ربّي ربُّهما، فقال فرعون: سعيتُما برجل على ديني لأقتلنه! فقتلهما.

قالوا: فذلك قوله تعالى:﴿**فَوَقَاهُ اللهُ سيِّئاتِ ما مَكَرُوا وحَاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ**﴾(سورة غافر: الآية ٤٥)"(٦). وقد استعان بالآية في ختام الخبر هنا تأكيدًا على قصتّه(٧).

---

(١) أخبار الأذكياء، ص١٣٢.
(٢) السابق، ص٢٠٦.
(٣) السابق، ص٢٠٦.
(٤) أخبار الأذكياء، ص٢١٧.
(٥) البلاذر: اسم نبات يُؤكَل. أخبار الحمقى والمغفلين، ص١١٨.
(٦) أخبار الأذكياء، ص١٧٣.
(٧) راجع تفسير الآية في تفسير الطبري (**أبو جعفر محمد بن جرير**): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ج ٢٠، ص٣٣٥-٣٣٦.

– "قال الأصمعي: سألتُ أعرابية عن ولدها، وكنت أعرفه، فقالت: مات، وتالله لقد آمنني الله بفقده المصائب، ثم قالت:

وكنتُ أخاف الدَّهرَ ما كان باقيًا فلما تولَّى مات خوفي من الدهر"[1]

وهنا ختمت المرأة كلامها ببيت من الشعر إمعانًا في التعبير عن فاجعتها في فقد ولدها.

☑النتائج:

قامت الدرّاسة بمعالجة بعض أدوات التشكيل اللغوي لبنية الخبر عند ابن الجوزيّ في كتابيْه: (أخبار الأذكياء) و(أخبار الحمقى والمغفلين) في ضوء النظرية الأسلوبيَّة، وفقًا لترتيب بنية الخبر التي تتكوّن من سندٍ ومتنٍ وخاتمة، وقد توصَّلت من خلالها إلى النتائج التالية:

– **أولًا: السند: وجاء في نوعين: أخبار مُسنَدة وأخبار غير مُسنَدة؛ أمّا المُسنَدة فقد ظهرت في صورتيْن:** الصورة الأولى: الأخبار المتواترة بشكل دقيق: وفيها يأتي الإسناد متصلًا، ويبدأ الاستهلال فيها بأفعال مثل: أخبرنا/قال/أنبأنا/حدثني/سمعتُ/حكى/بلغني...)، واتضح أن هذا النوع من الأخبار يكثر في الأحاديث المرويَّة عن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم. والصورة الثانية: الأخبار التي يستهلها بإسناد غير متواتر: وهي الأخبار التي جاءت عنده على صور؛ وهي:(أن يسقط من الإسناد راويًا أو أكثر/أو يستهلّها بجمل مثل (قال رجل/قال بعض الأدباء...الخ)//أو يستهلها بفعل مبنيّ للمجهول (مثل (قِيل/رُوِي/حُكِي...الخ).

أمّا الأخبار غير المُسنَدة وهي التي بدأ ابن الجوزيّ فيها بالخبر مباشرةً دون إسناده إلى راوٍ؛ أي أنها غير متواترة، فلا يستعين في الاستهلال فيها بفعل من الأفعال الدالة على الإسناد، واتّضح أن لهذا النوع حضور واضح عند ابن الجوزيّ، فأغلب الأخبار عنده جاءت غير مُسنَدة لشيوعها أو لعدم الإطالة والتثقيل على القارئ.

(1) أخبار الأذكياء، ص١٣٢.

- ثانيًا: المتن: وقد قامت الدراسة بمعالجته وفقًا لبعض المستويات اللغويَّة، وهي:

*** المستوى الصوتي:** وقد تمثّل عنده في ظاهرة التبادل الصوتيّ التي ظهرت عنده في نوعيْن: (تبادل الصوامت) الذي ظهر في الإبدال بين حروف تتشابه في المخرج أو أخرى تتشابه في رسم كتابتها؛ مثل الإبدال بين حرفي (الظاء والضاد) في قوله تعالى"ولا الضّالين"، ووردت بكثرة في كتاب أخبار المغفلين. والنوع الثاني: (تبادل الصوائت) الذي ظهر بنسبة أقل من سابقه؛ مثل الإبدال بين الكسرة والفتحة في قوله تعالى "قال لمَنْ حولَه ألا تستمعون"، واتّضح أنه إبدال ناتج عن جهل وحمق صاحبه.

*** المستوى التركيبي:** وجاء عنده في الدراسة متمثلًا في بعض الآليات اللغوية التالية:

١- الاستفهام: وقد مثّل أداة رئيسة في الخبر عند ابن الجوزيّ لاعتماد أغلب أخبار على الحوار بين الشخصيات المتّصفة بالذكاء أو بالحمق. وورد الاستفهام بصورتيْه: الحقيقيّ والمجازيّ، وقد خرج الاستفهام الحقيقيّ عنده أحيانًا عن معنى طلب الإجابة إلى أغراض أخرى من بينها مثلًا: توجيه المخاطَب لفعلٍ محمودٍ بطريقة مهذّبة كقول ابن المبارك لرجل عطس في مجلسه:"أي شيء يقول القائل إذا عطي؟"، يريد توجيهه إلى قول: الحمد لله.

٢- **الحذف:** وقد جاء بوصفه وسيلة من وسائل الانحراف في الأسلوب، واستُخدِم عند ابن الجوزي في صورة حذف تفاصيل من الخبر، مع وجود قرينة تدلّ عليه.

٣- **المُفارَقة:** وقد وُظّفت عنده بكثرة في كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين"؛ لأن السخرية هي الهدف الأساسي من تأليف هذا الكتاب، وهي أيضًا الهدف الأساسي من توظيف بنية المفارقة في السياق عمومًا.

٤- **دمج الجمل:** وهي من الآليات التركيبيَّة التي استخدم فيها جملة أو أكثر للتعبير عن انفعال ما تصفه كلمة أو عبارة.

٥- **الازدواج:** ونسبته قليلة في الأخبار عند الجوزي لبساطة أسلوبه وبُعده عن التكلّف والزخرفة اللفظيَّة، والمواضع التي ورد الازدواج فيها قد وظّفه لغرض ما يستدعيه.

*** المستوى المعجميّ:** وفيه قامت الدراسة بمعالجة الألفاظ الغريبة على القارئ المعاصر، باعتبار أن الوضوح والبساطة هو الشائع في لغة الخبر في الكتابيْن.

- **ثالثًا: خاتمة الخبر:** وظهرت عنده في الصور التالي:

* تعليقه على الخير استحساناً أو استهجاناً.
* تخريج لبعض الأحاديث النبويَّة.
* الخاتمة المفتوحة عن طريق الاستفهام.
* الإشارة إلى مصادر أخرى للخبر المذكور.
* الاستشهاد من القرآن الكريم أو من الشعر.

* * *

﴿ المراجع ﴾

١- الكتب العربيَّة::

(١) **الأصفهاني (أبو الفرج الأصبهاني عليّ بن الحسين):** كتاب الأغاني، دار الكتب المصريّة، ١٩٥٢.

(٢) **الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد):** كتاب أسرار العربيّة، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، تحقيق: محمد البيطار، د.ط، د.ت.

(٣) **إبراهيم صحراوي:** السرد العربي القديم: الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

(٤) **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة):** صحيح البخاري، دار التأصيل، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

(٥) **البغدادي، الخطيب (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت):** الكفاية في علم الرواية، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٩٣٨.

(٦) **د. تمّام حسّان:** اللغة العربية معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٣.

(٧) **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):** كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩.

(٨) **ابن جنّي (أبو الفتح عثمان):** المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق على النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، ١٩٩٤.

(٩) **ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ):** أخبار الأذكياء، راجعه: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

(١٠) **ـــ:** أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنّا، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

(١١) **ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن سعيد):** حجّة الوداع، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، د.ط، ١٩٩٨.

(١٢) **ابن خلّكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر):** وفيات الأعيان، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

(١٣) **د سعد مصلوح:** الأسلوب، دراسة لغويَّة إحصائيَّة، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

(١٤) **سعيد جبار:** الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، شركة التوزيع والنشر المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

(١٥) **د. سعيد علّوش:** معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

(١٦) **د. سعيد يقطين:** الكلام والخبر، مقدّمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧.

(١٧) **شارل بالي:** علم الأسلوب وعلم اللغة العام، ترجمة د. شكري عيّاد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٥.

(١٨) **د. شكري عيَّاد:** اتجاهات البحث الأسلوبي، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات ، د.ط، ١٩٩٨.

(١٩) **ـــ:** القصة القصيرة في مصر، دراسة في تأصيل فن أدبي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

(٢٠) **ـــ:** مدخل إلى علم الأسلوب، د.ط، ١٩٩٢.

(٢١) **الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٢٢) **ـــ:** تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، د.ت.

(٢٣) **عبد الحميد العلوجي:** مؤلفات ابن الجوزي، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

(٢٤) **ابن عبد ربّه (أبو عمر أحمد بن محمد):** العقد الفريد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١.

(٢٥) **د. عبد السلام المسدّي:** الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، د.ت.

(٢٦) **د.عبد الله إبراهيم:** السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

(٢٧) **ـــ:** موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دبي، ٢٠٠٨.

(٢٨) د. علي عبد الحليم محمود: القصة العربية في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، د ت.

(٢٩) ابن فارس (أبو الحسين أحمد): الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

(٣٠) الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨.

(٣١) **ابن كثير(الحافظ أبو الفداء إسماعيل):** البداية والنهاية، دار الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، ٢٠١٥.

(٣٢) **محمد تيمور:** محاضرات في القصص في أدب العرب، ماضيه وحاضره، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، ١٩٥٨.

(٣٣) **د. محمد العبد:** المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

(٣٤) **د. محمد القاضي:** الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

(٣٥) **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

(٣٦) **مسلم (أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري):** صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

(٣٧) **ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):** لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩.

(٣٨) **د. موسى سامح ربابعة**: الأسلوبية، مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

(٣٩) **د. ناهضة ستار:** بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات، والوظائف، والتقنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.

(٤٠) **ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله):** معجم البلدان، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٠٦.

(٤١) **معجم مصطلح الحديث النبويّ:** مجمع اللغة العربي، د.ط، ٢٠٠٢.

٢- الكتب الأجنبيَّة:

Jesley Jeffries and Dan Mclntyre: Stylistics, Cambridge Textbooks Linguistic, Cambridge University Press, First Published, 2010.

٣- الدوريَّات:

- **د. السيد عبد الحليم مصطفى الشوربجي:** التبادل الصوتي وأثره في توجيه الدلالة (الفكاهية)، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، جرجا، العدد ١٦، الجزء الرابع، ٢٠١٢.

- **د. محيي الدين محسّب:** الأسلوبيَّة التعبيريّة عند شارل بالي، مجلة علوم اللغة، العدد الثاني، المجلد الأول، ١٩٩٨، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.